تمهيـد

هذا بحث عن نقد النقد فى التراث العربى .

وأعنى بنقد النقد تلك الكتب النقدية التى ألفها أصحابها مفندين بها كتباً نقدية أخرى .

* * *

ألف قدامة بن جعفر « نقد الشعر » فتعقبه الحسن بن بشر الآمدى بكتاب سماه « تبيين غلط قدامة بن جعفر فى كتاب نقد الشعر » ؛ وأبو الحسن ابن رشيق القيروانى بكتاب سماه « تزييف نقد قدامه »[1] .

* * *

وألف أبو محمد بن الحسن بن وكيع التنيسى المصرى كتابه :

« المنصف للسارق والمسروق من المتنبى »[2] .

فنقده بل نقضه ابن جنى فى كتاب له سماه :

« النقض على ابن وكيع فى شعر المتنبى وتخطئته »[3] .

* * *

ومن نقد النقد تلك الكتب التى ألفها أصحابها رادين بها على ابن جنى بعد أن اعتمده المتنبى شارحًا له ، ومدافعاً عنه ، وبعد أن ألف بالفعل كتابيه :

---

(١) قدامة بن جعفر والنقد الأدبى للدكتور بدوى طبانه ص ٤٠٣ والكتابان مفقودان .

(٢) هذا الكتاب ذكره ابن رشيق فقال :

وأما ابن وكيع فقد قدم فى صدر كتابه على أبى الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر إلا الصدر الأول إن سلم ذلك وسماه (المنصف) مثلما يسمى اللديغ سليما .

وما أبعد الإنصاف عنه » .

(العمدة جـ ٢ ص ٢٦٦)

(٣) معجم الأدباء جـ ١٢ ص ١١٣ .

« التفسير الكبير لمعانى ديوان المتنبى » ، وهو ألف ورقة ونيف ، « والتفسير الصغير » لمعانى هذا الديوان ، وهو خمسون ومائة ورقة[1] فقد أثار هذان الشرحان معارضات كثيرة تمثلت فى كتب كبيرة منها :

« إيضاح المشكل من شعر المتنبى »

لأبى القاسم بن عبد الرحمن الأصبهانى .

وقد تحامل فيه على المتنبى وبين أخطاء ابن جنى .

وأملى أحمد بن محمد العروضى على تلاميذه شرحاً لشعر المتنبى .

ولقد كان العروضى فى هذا الشرح لاذع النقد لبعض شروح ابن جنى وتخريجاته .

وألف أحمد بن محمد بن فورجة كتابين هما :

« الفتح على أبى الفتح » و « التجنى على ابن جنى » كما ألف أبو حيان التوحيدى :

« الرد على ابن جنى فى شعر المتنبى »

وزعم بعض الأدباء أن شعر أبى الطيب مسروق من أبى تمام والبحترى ، فكتب أبو الحسن محمد بن أحمد المغربى راوية أبى الطيب .

« الانتصار المنبى عن فضائل المتنبى »[2]

* * *

بل إن من نقد النقد ما كان من الحاتمى وحده فى عملين مختلفين ، وفى موقفين متضادين له من المتنبى :

فقد كتب عنه رسالة لاذعة سماها :

« الموضحة فى مساوىء المتنبى »

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٢ ص ١١٠ ، ووفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤١٢ .

(٢) الصبح المنبى عن حيثية المتنبى للشيخ يوسف البديعى ص ٢٦١ .
وذكرى أبى الطيب بعد ألف عام للمرحوم عبد الوهاب عزام ص ٣٤٨ .
والنقد المنهجى عند العرب للمرحوم د . محمد مندور ص ١٩٤ .
والمتنبى بين ناقديه فى القديم والحديث للدكتور محمد عبد الرحمن شعيب ص ٣٣ - ٤٦ .

ثم تحول عن سوء رأيه فيه إلى الاعتراف بفضله فى « الرسالة الحاتمية » وهى الرسالة التى دافع فيها عن المتنبى لما اتهم بسرقة ما فى شعره من معان فلسفية بأن ذلك إن كان قد وقع له عن فحص وبحث ، فقد أغرق فى درس العلم .

وإن يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق ، فقد زاد عن الفلاسفة بالإيجاز والبلاغة . وهو فى الحالين على غاية من الفضل ونهاية من النبل[1] .

ولقد أكد الحاتمى هذا التحول النظرى بتحول عملى تمثل فى حماسه للمتنبى وحرصه على حضور مجالسه[2] .

* * *

وإذا جارينا الثعالبى فى أن كتاب الوساطة كان رد فعل لرسالة الكشف انحزنا أو وجب أن ننحاز به إلى نقد النقد .

وإنه لكذلك عنده ؛ فقد جاء فى اليتيمة :

« ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة فى إظهار مساوىء المتنبى عمل القاضى أبوالحسن كتاب الوساطة »[3] .

* * *

ونصحب ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر »[4] فنجده كما وصفه الصفدى : « قد أفنى ذلك البسط فى الإعجاب بنفسه والإطراء ، وأطال فى الغض من أبناء زمانه والازدراء » .

---

(١) نشرت الرسالة الحاتمية فى كتاب « الوسيلة الأدبية » للمرصفى سنة ١٢٩٢هـ جـ ٢ من ص ٦٧ إلى ص ٧٩ .
كما نشرت فى التحفة البهية طبعة استنبول سنة ١٣٠٢هـ ص ص ١٤٤ إلى ص ١٥٩ .
أما رسالة الموضحة فقد نشرها الأستاذ إبراهيم البساطى تحت عنوان « الرسالة الحاتمية » وجعلها الأولى فى مقابلة « الحاتمية الثانية » كما قال سيادته حكاية عن الحاتمى .
وانظر ص ٢٧٠ من الإبانة عن سرقات المتنبى لأبى سعيد محمد العميدى بتحقيقه .

(٢) صور جديدة من الأدب العربى « للمرحوم كامل كيلانى ص ١٠٥ - ١٣٦ .

(٣) اليتيمة جـ ٤ ص ٤ ، وقد رددنا هذا القول على الثعالبى فى كتابنا « النقد الأدبى عند القاضى الجرجانى » ص ١٤٧ - ١٥٩ طبعة مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٥م .

(٤) ابن الأثير هو أبو الفتح نصر الدين بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى=

ولا شيء أكتم للمحاسن من التيه والعجب ، هذا إلى ما فى الكتاب « من فلتات عديدة ، واختيارات غير موفقة ولا سديدة »[1]

* * *

ولست أدرى : أى الأمرين كان داعياً للرجلين :

عز الدين بن أبى الحديد .

وصلاح الدين الصفدى

إلى تأليف كتابين فى نقد المثل السائر هما :

« الفلك الدائر على المثل السائر » لابن أبى الحديد .

و « نصرة الثائر على المثل السائر » للصفدى[2] .

* * *

= المعروف بابن الاثير الجزرى والملقب بضياء الدين .

ولد يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ٥٥٨هـ فى جزيرة ابن عمر ، ثم انتقل مع والده إلى الموصل حيث تعلم وعمل :

خدم الملك الناصر صلاح الدين وولده الملك الأفضل نور الدين ، ولما وزرله ردت أمور الناس كلها إليه ، وصار الاعتماد فى جميع الأحوال عليه .

وفى ذى القعدة سنة ٦٠٧هـ فارق الملك الأفضل ، واتصل بخدمة أخيه الملك الطاهر غازى صاحب حلب ، ولما لم يسترح معه تركه مغاضبا له وعاد إلى الموصل . لكن لم يستقر أمره بها فهجرها وورد إربل ثم سنجار ثم الموصل للمرة الثانية ، وقد استقر فيها وكتب الإنشاء بها لصاحبها ناصر الدين محمود بن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه ، وذلك فى سنة ٦١٨هـ . وقد حدث لما بعثه صاحب الموصل فى مهمة رسمية إلى بغداد أن أدركه أجله بها يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٣٧هـ ، فصلى عليه فيها ، ودفن بها فى مقابر قريش . غفر الله له ورحمه ، وانظر ترجمته فى وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٠٨ وفى صدر المثل السائر ص ٣٠ – ٣٤ وفى « ضياء الدين بن الأثير » وهو العدد ٣٦ من سلسلة نوابغ الفكر العربى .

أما كتابه « المثل السائر ... » فستتضح مقالته مما سيورده منه ابن أبى الحديد والصفدى . وقد اتخذه عالمان فاضلان موضوعا لرسالتين جامعيتين ، وتوزعا بينهما ما فيه من نقد وبلاغة ، وهما الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام والأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن شعيب .

(١) نصرة الثائر تحقيق محمد على سلطانى ص ٤٢ وص ٤٤ .

(٢) من نقد النقد . ذلك الكتاب الذى ألفه ركن الدين أبو القاسم محمود بن الحسين ابن الإمام أرشد الدين الأصبهانى (٥٩٢ – ٦٥٠هـ) بقصد الرد على ابن أبى الحديد وسماه :

نشر المثل السائر وطى الفلك الدائر »

وكذلك كتاب « قطع الدابر على الفلك الدائر » لعبد العزيز بن عيسى والكتابان مفقودان .

وانظر ص ٢٦ وص ٤٦ ، من نصرة الثائر ..

وسيكون عمل الرجلين فى هذين الكتابين موضوع هذه الدراسة

* * *

ومن المعقول أن تكون ثلاثة فصول :

* * *

الفصل الأول : فيما انفرد به ابن أبى الحديد من نقد لابن الأثير .

والفصل الثانى : فيما انفرد به الصفدى .

أما الفصل الثالث : فسيكون فيما التقى عليه الرجلان من مؤاخذته .

* * *

ولابد من التنبيه إلى أنه قد يكون من واجبى أن أدلى بدلوى فى خضم المناقشة بما يدل على وجه الحق فى المسألة المعروضة قدر طاقتى .

ولست أدرى مع من سأكون ؛ فالموضوعية ، والموضوعية المطلقة قبلتى .

وهذا طبيعى ؛ فالمتصارعون فى هذه الحلبة من فضلاء القدماء وإنهم لكرماء على تراثنا النقدى ، وضمير القاضى هو الذى سيرشدنى .

أما بعد

فهذه محاولة متواضعة من جانبى للمضى بنقد النقد فى تراثنا العربى إلى عصرنا الحاضر .

وأنا مدرك تمام الإدراك دقة موقفى .

وهذا يكفى .

د .عبده عبد العزيز قلقيله

القاهرة فى ٣ مايو سنة ١٩٧٥